جدلية النحو واللسانيات في الخطاب اللساني العربي الحديث: قضايا ونماذج

د. مصطفى العادل
دكتوراه في اللسانيات العربية
كلية الآداب والعلوم الإنسانية بوجدة
جامعة محمد الأول - المغرب

مقدمة

أسهمت مجموعة من العوامل الحضارية والسياسية والثقافية في انفتاح الحضارة العربية الإسلامية منذ منتصف القرن الماضي على الحضارة الغربية. وقد كان للترجمة، وتطوّر وسائل التواصل، والبعثات التعليمية وغيرها، الدور الأهم في ذلك الانفتاح.

ففي مجال اللغة واللسانيات، عادت البعثات التعليمية التي تلقّت تكوينها في الغرب، وفي أوروبا بالخصوص، فحملت معها الكثير من الأفكار والمناهج الجديدة لدراسة اللغات الطبيعية، وقد تعدّدت المشارب التي استقى منها الطلاب الباحثون، لتعدّد المدارس اللغوية التي تكوّنوا فيها، مما أسهم في إثراء الدرس اللغوي الحديث، وطبعه بخاصيتين على الأقل، هما التعدد والتنوع.

كان (علي عبد الواحد وافي) من أوائل اللغويين العرب الذين نقلوا المناهج الغربية في دراسة اللغات، من خلال كتابه (في علم اللغة 1941)[1]، وغلبت على دراستهم مناهج البنيويين الوصفيين، فقادوا ثورة على المناهج القديمة، وتنوعت مشاربهم، وتباينت اتجاهات التجديد عندهم.

وفي الربع الأخير من القرن الماضي، عاد الطلّاب المغاربة من الجامعات الأوروبية، الفرنسية بالخصوص، حاملين معهم لواء التجديد في الدرس اللساني؛ إذ انفتح معظم المغاربة على المدارس اللسانية الحديثة، وخاصة اللسانيات التوليدية والوظيفية والتداولية.

اضطرّ الباحثون الشباب إلى التصريح بمواقفهم من التراث اللغوي والنحو العربي في ضوء ما جاؤوا به من أفكار ومناهج جديدة، فتباينت مواقفهم من التراث، واختلفت نظرتهم إلى النحو

[1] دار نهضة مصر للطبع والنشر، القاهرة، 1945م.

العربي، بل كانت جدلية الصراع بين القديم والحديث من أهم الأعمدة التي قام عليها النقاش اللساني في الثقافة العربية منذ بداية عصر النهضة والتجديد.

كانت الجامعة الموطنَ الأساس لبداية اللسانيات الحديثة. وقد وجد فيها أولئك اللسانيون الشباب بعض الأساتذة، ممن لهم باع كبير من علوم العربية من قِبل النحو، وفقه اللغة، والبلاغة، فاشتدّ الصراع بينهم. وإن كانت لهذا الصراع بعض الآثار السَّلبية الجانبية، فإنه أسهم في تحريك البحث اللغوي. ففي الوقت الذي سعى فيه الباحثون الشباب إلى توسيع أفكارهم وأطروحاتهم ليُقنعوا أهل اللغة بنجاعة نماذجهم المستورَدة، اجتهد التراثيون في إثبات نجاعة الأنموذج التراثي، وأهميته، ومقدرته المنهجية والإجرائية في معالجة إشكالات اللغة العربية المعاصرة.

يسعى هذا البحث إلى إبراز محورية التراث والحديث، ومنه النحو العربي واللسانيات في النقاش اللساني الحديث، وبيان مركزية هذه الجدلية في تطور المعارف في الثقافة العربية الحديثة، وبخاصة في مجال اللسانيات. ويتأسس البحث على مجموعة من الأسئلة المنهجية منها: ما دور ثنائية الحديث والقديم، ومنها النحو العربي واللسانيات في تحريك البحث اللساني الحديث في الثقافة العربية؟ كيف تعامل اللسانيون العرب مع هذه الجدلية؟ وما حظها من مباحث النقد اللساني وقضاياه؟ ثم ما هي أهم الدراسات اللسانية التي اشتغلت بهذه القضية؟

وفي السعي لتحقيق الأهداف السابقة، والإجابة على أسئلة البحث، اخترنا تقسيم هذه الورقة إلى مقدمة وثلاثة مباحث، ثم خاتمة نجمل فيها أهم الخلاصات التي توصّلنا إليها.

المبحث الأول: نقاش النحو واللسانيات في الخطاب اللساني العربي الحديث

توقّف عبده الراجحي منذ عام 1981 على دراسة علاقة النحو العربي باللسانيات في ندوة (البحث اللساني والسيميائي) بجامعة محمد الخامس[1]، إذ أشار إلى ريادة الباحثين المغاربة في الاطّلاع على النظريات الجديدة والمناهج اللغوية الحديثة، وأهمية ذلك في تطور الدرس اللغوي العربي. ويجد القارئ آراء الراجحي حول النحو العربي واللسانيات مفصلة في كتابه (النحو العربي والدرس الحديث (بحث في المنهج)[2].

[1] عبده الراجحي، النحو العربي واللسانيات المعاصرة، ص 153-164.

[2] عبده الراجحي، 1979م، النحو العربي والدرس الحديث (بحث في المنهج).

حذّر عبده الراجحي من الاتجاه الذي يرفض اللسانيات مقابل التعصب للنحو العربي، ومن الاتجاه الذي يُقصي القديم ويُلغيه لصالح المناهج الحديثة كذلك، يقول الراجحي: "من الخطأ أن نتصور أن عندنا نحوا عربيا نكتفي به، ونقول إن كل ما يحدث في العالم شيء غريب وليس منا ولا نقبله، لأن فيه خطرا شديدا على لغتنا أو على قرآننا أو على إسلامنا. خطر الجمود على الشيء الموروث خطر كبير، وهو خطر علمي وإنساني، لكن خطرا آخر أيضا لا يقل عنه، وهو ما يمكن أن يسمى "خطر المسخ". فمن الصعوبة جدا أن نتصور أو أن نقول إن هناك شيئا جديدا في العالم، وأنه هو الصالح لنا، وأن هذا القديم غير صالح على الإطلاق، ولذلك لا ننظر إليه، وإنما نحن نأخذ كل هذا الجديد، ويؤدي هذا إلى نوع من المسخ البشري الذي أتصوره في غاية الخطورة أيضا"[1]. ودافع الراجحي عن الاتجاه التوفيقي الذي لا يُبخس من قيمة النحو العربي، ولا يرفض الدرس اللساني الحديث.

يعير عبده الراجحي أهمية كبيرة للسياقات التي نضج فيها النحو العربي؛ إذ لا يُفهم النحو إلا في ضوئها، ولا "يُدرس بمعزل عن الفكر أو الجو العقلي العام الذي كان موجودا في هذه الفترة -فترة نشوء العلوم الإسلامية-هذه القضية يمكن أن توصلنا -إلى حد ما- إلى طبيعة النحو العربي"[2]؛ إذ ظل النحو العربي طيلة مراحل تطوره مرتبطا بالعلوم الإسلامية والإنسانية، التي سعت جميعها إلى هدف واحد هو فهم النص القرآني.

واعتبارا لمسألة التداخل بين العلوم والمعارف في الحضارة العربية الإسلامية ومحورية التأثير والتأثر بينها، يدعو عبده الراجحي إلى ضرورة إدراك أسس هذه المنظومة المتكاملة، وفهم منطلقاتها ومرجعياتها، وإدراك إبستمولوجي المعرفة الإسلامية[3]، يقول: "إن النحو العربي لا يمكن إدراكه وفهمه أو مجرد التعامل معه من مجرد الأقوال العادية أو حتى يمكن أن نستعمل كلمة السطح التي جاءت عند النحاة-ولكن لا بد أن نبحث عن الأسس الخلفية سواء كانت إبستمولوجية أو أنطولوجية وراء النحو العربي. النحو العربي إذن تكون في هذا الجو العام، في هذا الفكر الإسلامي الشامل الكامل، وتطور من داخله"[4].

[1] عبده الراجحي، النحو العربي واللسانيات المعاصرة، ص 154
[2] نفسه، ص 155
[3] نفسه، ص 158
[4] نفسه، ص 159

يحاول الاتجاه التوفيقي في البحث اللساني الحديث الجمع بين التراث اللغوي العربي والنظريات اللسانية الحديثة، ويؤمن في المقابل بضرورة الاستفادة مما في التراث، واعتماده في التعامل مع الدرس اللساني. وقد انبنى مشروع (المتوكل) الوظيفي على قراءة التراث اللغوي العربي مع الانفتاح والاعتماد على أحدث ما توصلت إليه النظريات اللسانية، خاصة النحو الوظيفي مع (سيمون ديك)، فاستطاع بذلك أن يقدم وصفا وتفسيرا لجملة من قضايا اللغة العربية في مستوياتها المختلفة من تركيب وتداول ومعجم.

يرى (المتوكل) بأن عقد الحوار بين الفكر اللغوي العربي القديم والنحو الوظيفي سيمكننا من تحقيق هدفين اثنين هما:

أ- إغناء النحو الوظيفي بتحليلات ومفاهيم جديدة.

ب- تقديم مجموعة من الأوصاف المقترحة في النحو العربي أو البلاغة العربية.

يتجاوز هدف المتوكل الوقوفَ على إشكالية تغييب التراث والسعي إلى قراءة اللغة العربية قراءة لسانية، إلى تطعيم النحو الوظيفي وإغنائه بمعطيات وقضايا من خلال الغوص في قضايا اللغويات العربية. ومن تم فإن (المتوكل) يستمد آراءه من التراث اللغوي العربي باعتباره الأصل لنظرية النحو الوظيفي الحديث، دون حدوث أية قطيعة معرفية بينهما.

ولم يسلك (المتوكل) نهج كثير من اللسانيين العرب المحدثين في تعاملهم مع التراث اللغوي العربي، بل إن البحث اللساني في تصوره لا ينبغي أن يُحدث قطيعة مع التراث اللغوي العربي في تناول القضايا اللسانية الحديثة. وعلى هذا الأساس فإنه ينبغي أن ينظر إلى التراث على أنه حقبة تاريخية لفكر وظيفي يشكل امتدادا للدراسة اللسانية الحديثة، وإما أن يكون مرجعا للدرس اللساني الوظيفي الحديث يحتج به عند الحاجة، فاستطاع بذلك أن يقدم "مثالا ملموسا لما يمكن أن تكون عليه العلاقة بين النحو العربي –والفكر اللغوي العربي بوجه عام- والنظريات اللسانية الحديثة، وشاهدا على إمكان مد الجسور بينه وبين نظرية لسانية بعينها، نظرية النحو الوظيفي في أحدث نماذجها، مدّا يتيح المقارنة الممنهجة بين تناول النحاة لعدد من الظواهر، مقارنة يمكن الخروج منها بمقاربة موحدة واحدة تكفل وصف وتفسير لا تلك الظواهر فحسب، بل غيرها كذلك في لغات أخرى قد تنامطها، وقد تنتمي إلى نمط غير نمطها[1].

1 المتوكل أحمد، مسائل النحو العربي في قضايا نحو الخطاب الوظيفي، ص 5.

لقد اقترح (المتوكل) لقراءة التراث "أن نزع المفاهيم المعتمدة في علوم اللغة العربية إلى التوحد وإن تعددت هذه العلوم، وإلى تشكيل إطار نظري يخلف الدراسات النحوية والبلاغية والأصولية والتفسيرية على حد سواء، وتطمح هذه المنهجية إلى تمكين قارئ التراث من تلافي مزلقين: "منزلق القطيعة" و"منزلق الإسقاط[1]". والحق أن البحث اللساني في الثقافة العربية يعاني إلى حد كبير، هاذين المنزلقين. ففي الوقت الذي يشكك فيه التراثيون في كل ما هو جديد عملا بمقولة: (لم يترك الأول للآخر شيئا). يحدث الحداثيون قطيعة كاملة مع الدرس اللغوي العربي بالانسياق وراء النظريات اللسانية الحديثة، دون أن يعوا بحقيقة التراكم المعرفي واستفادة اللاحق من السابق.

وعلى غرار الاتجاه الذي يرى بأن الدرس اللغوي العربي لا يمكن الاستغناء عنه في خلق ثقافة لسانية بالوطن العربي، يرى الفاسي الفهري أن التراث اللغوي العربي لم يعد صالحا اليوم في الدراسة اللسانية، مما يدعو إلى ضرورة نقد الأسس المنهجية التي يقوم عليها. وقد تعرضت مواقف الفاسي الفهري لانتقادات كثيرة بسبب نظرته السلبية لموقع الدرس اللغوي العربي القديم في اللسانيات الحديثة. والحق أن الأساس الذي ينطلق منه (الفاسي الفهري) هو ضرورة التمييز بين التراث والدرس اللساني الحديث، تمييزا منهجيا حتى لا نقع في إشكالية الخلط بينهما، وأن العربية لم تحظ بالتجديد الذي حظيت به اللغات الأخرى، بل ما يزال القاموس هو قاموس القرن الثاني والرابع الهجري، والشيء نفسه كذلك بالنسبة للنحو وقواعد اللغة[2]، وهو ما يجعلنا في أمس الحاجة إلى إعادة قراءة اللغة العربية والنحو العربي وفق ما وصلت إليه اللسانيات الحديثة. وهذا الأساس ترتبت عليه أحكام في حق التراث لا يمكن تجاهلها.

ولعل من أبرز هذه الأحكام، اعتقاد (الفاسي الفهري) أن الاشتغال باللغة العربية الفصحى في إطار البحث اللساني هو العائق الأكبر أمام تقدم اللسانيات بالأوطان العربية، إضافة إلى عدم الاهتمام باللهجات؛ وذلك راجع –في نظره- إلى الاكتفاء بما جاء به القدماء وعدم التجديد في المجال اللساني ومراعاة ما تتعرض له اللغة من تغير وتحول مستمرين.

إن الإشكال في تصور (الفاسي الفهري) يكمن في المادة الموصوفة؛ أي اللغة العربية الفصيحة التي لم تعد في نظره لغة اليوم، وما أدى به ذلك إلى تغير المناهج والوسائل المعتمدة في دراسة اللغة. قال (الفاسي الفهري): "أظن أن البحث في اللغة العربية الفصيحة يطرح إشكالا عميقا هو إشكال

1 المتوكل أحمد، أسئلة اللغة أسئلة اللسانيات، ص 40.

2 الفاسي الفهري عبد القادر، اللسانيات واللغة العربية، مقدمة الطبعة.

المادة اللغوية أو المعطيات التي يقوم بها اللغوي، ومع كامل الاستغراب، لا نجد أحدا يطرح هذا المشكل في عمقه (...)، ومشكل المعطيات جر عليهم مشكل المنهج، فاستعمالهم لمعطيات القدماء، نظرا لما هناك من علاقة بين الأصول التي وضعوها وبين المواد التي وصفتها هذه الأصول، مع أنه لا ضرورة منهجية ولا منطقية تفرض الرجوع إلى فكر الماضي وتصنيفاته ومفاهيمه لمعالجة مادة معينة"[1]. وواصل (الفاسي الفهري) دراسته النقدية إلى القول بأن اللغة العربية التي نتكلمها اليوم ليست هي اللغة التي وصفها (سيبويه)، ومن تم فإننا في حاجة إلى قواعد أخرى ونحو جديد للغة العربية الجديدة.

وبالرغم من أهمية الدراسة الابستيمولوجية التي قدمها (الفاسي الفهري)، إلا أنه يصعب التسليم بمجموعة من القضايا التي صرّح بها، خاصة في إشكالية العلاقة بين اللسانيات والتراث اللغوي العربي، إذ "لا مناص لمن يريد أن يقف من القواعد موقف المدرك لما تستند إليه من مبادئ ومصادرات لا موقف المطبق تطبيقا آليا، من التوسع في المعارف النحوية ومعاشرة كتب التراث والبحث فيها عن مؤشرات التناسق بين المعطيات والأحكام"[2].

توقف مصطفى غلفان في دراساته النقدية للخطاب اللساني العربي على هذه الجدلية بالكثير من التفصيل، وذهب إلى أنه تقابل في الكثير من الأحيان لا يقوم على سند علمي، يقول: "بسبب علاقة ملتبسة أقيمت بينها وبين النحو العربي، وأصبح العديد من الدارسين والمهتمين ينظرون إلى اللسانيات من خلال النحو العربي، وينظرون إلى النحو العربي من خلال اللسانيات، لقد ظهر في الثقافة العربية تقابل بين النحو واللسانيات، تقابل لا يقوم على أي سند منهجي أو نظري محدد وواضح"[3]. ورأى غلفان أن مواقف الباحثين بشأنها "تتوزع على المواقف التالية[4]:

- الاكتفاء بالدعوة إلى الاطلاع على اللسانيات من حيث إنها مبادئ عامة وأصول نظرية ومنهجية جديدة تسهم في معالجة قضايا اللغة العربية.
- الاستعانة باللسانيات إما لفهم التراث اللغوي العربي عامة واللغوي منه على وجه الخصوص أو لتجديد التعامل مع قضايا نحو اللغة العربية.
- التطبيق الحرفي للسانيات بالسعي إلى وضع أنحاء بديلة للمنظومة النحوية القديمة".

1 الفاسي الفهري عبد القادر، اللسانيات واللغة العربية، ص 52.

2 المهيري عبد القادر، نظرات في التراث اللغوي العربي، ص 6.

3 مصطفى غلفان، اللسانيات العربية -أسئلة المنهج، ص 132.

4 نفسه، ص 137.

وانتقد غلفان وضع اللسانيات والنحو العربي، والعلاقة بينهما في التدريس الجامعي، يقول: "لم يُغيّر تدريس اللسانيات في جامعاتنا شيئا من واقع تدريس النحو العربي وقضايا اللغة العربية جملة وتفصيلا (...) الفكر النظري في واد، والعمل التطبيقي في واد آخر، والحديث عن اللسانيات شيء والحديث عن قواعد النحو العربي شيء آخر واستعمال اللغة العربية شيء ثالث"[1]. مرجعا أسباب تلك الإشكالات إلى المهتمين والمتخصصين أنفسهم؛ إذ "إن العديد من المهتمين بشأن اللسانيات في الثقافة العربية وتدريسها في رحاب الجامعات والمعاهد العليا يتحملون مسؤولية هذا الوضع الملتبس، بل والمتوتر أحيانا بين النحو العربي واللسانيات، بسبب غياب التوضيحات المنهجية التي كان يتعين تقديمها للقارئ العربي بتدرج مدروس، عوض الخوض منذ البداية في قضايا لسانية نظرية مجردة دون إعداد أولي للخلفيات الفكرية المناسبة لهذه القضايا، على الرغم مما لهذه القضايا من أهمية عامة في الثقافة العربية"[2].

تبقى النهضة اللسانية المنشودة -في نظر غلفان- مرهونة بالتفاعل الإيجابي بين النحو العربي واللسانيات الحديثة في خدمة اللسان العربي؛ إذ يظل النحو العربي أحوج إلى اللسانيات حتى ينتعش ويتجدد، وتبقى اللسانيات في أمس الحاجة للنحو العربي حتى تستحضر الواقع اللغوي العربي وتعانقه ليلعبا معا دورهما في تطور واقع الإنسان العربي بعيدا عن اللغط في قضايا مفتعلة مثل: المواجهة بين القديم والجديد، واجترار التحاليل"[3].

واستطاع عبد السلام المسدّي أن يقدّم أنموذجا لسانيا راقيا في قراءة التراث اللغوي العربي، مؤمنا بأن قراءته من الضرورات العلمية لإدراك أسرار العلم اللساني الحديث من جهة، وتقييم التفكير التاريخي في الظاهرة اللغوية بمنظور حديث من جهة أخرى، ويؤكد المسدي أن الفكر اللساني الغربي الحديث استطاع قراءة تراثه اللاتيني نافذا من خلاله إلى التراث اليوناني أحيانا[4]. وينطلق المسدي من حقيقة مفادها أن نظر الغرب وتفكيرهم في اللغة ونظامها وقدسيتها ومراتب إعجازها أفضى بهم إلى درس شمولي كوني للغة، وقادهم إلى الكشف عن كثير من أسرار الظاهرة اللسانية مما لم تهتد إليه البشرية إلا مؤخرا بفضل ازدهار علوم اللسان منذ مطلع القرن العشرين[5].

---

[1] نفسه، ص 173.

[2] نفسه، ص 131.

[3] نفسه، ص 181.

[4] عبد السلام المسدي، التفكير اللساني في الحضارة العربية، ص 14

[5] مصطفى غلفان، اللسانيات العربية -أسئلة المنهج، ص 26

وألف عبد الله الجهاد كتابه (النحو العربي واللسانيات: تقاطع أم تواز)، محاولا إبراز مميزات كل منهما. بدأ في الباب الأول بالمبادئ الأساس التي يقوم عليها النحو العربي، كالسماع، والقياس، والعلة، والاستصحاب، ونظرية العامل؛ ذلك أن نقد المحدثين -في نظر الكاتب-انصبّ على هذه المبادئ الأصول. واهتمّ في الباب الثاني على علاقة النحو العربي ببعض الاتجاهات اللسانية الحديثة منها الاتجاه التقليدي، والاتجاه الوصفي، والاتجاه التوليدي.

وتعدّ دراسة عبد الله الجهاد من أهم الدراسات التي تصدّت لجدلية النحو العربي واللسانيات الحديثة، وتميزت بطابعها النقدي؛ إذ لم يقتصر الجهاد على عرض خصوصيات النحو العربي واللسانيات، وإنما سعى إلى تتبع أهم انتقادات اللسانيين الوصفيين والتوليديين للنحو العربي، مشيرا إلى عدد من المزالق التي وقعوا فيها. ومما خلص إليه الجهاد، ضرورة مراعاة الخلفيات والمرجعيات الخاصة بالنحو العربي في عملية نقده، يقول: "بيّنا في أماكن كثيرة أن نقد النحو العربي يجب أن ينطلق من المبادئ والمعتقدات الفكرية التي يتبناها النحاة العرب، فالحكم عليه بمعتقدات خارجة عنه يعد تجنّبا عليه، فالنحوي عربي، مسلم، حافظ للقرآن الكريم، والأحاديث النبوية الشريفة، والشعر العربي القديم، وفقيه في البلاغة، والعروض، والتفسير، مساير للاتجاهات العقدية والفقهية في عهده، ملم بتوجهات السلطة العقدية والثقافية... فكل باحث في التراث العربي الإسلامي يجب ألا تغيب عن ذهنه هذه المعطيات"[1].

وصدر عن مركز تكوين نفسه كتاب جماعي، شارك فيه أحمد بن جار الله الزهراني ببحث موسوم بـ(التجديد النحوي عند المحدثين: قراءة في المنطلق والمنهج). وقد تتبع فيه الباحث أهم اتجاهات تجديد النحو العربي، وتوقف على أهم مزالقها وأهم منطلقات المحدثين وعوامل التجديد ومقاصده.

وتوقف الكاتب على دور التغريب في التجديد النحوي عند الوصفيين واللسانيين المحدثين الرافضين لمعطيات النحو العربي. ومما خلص إليه قوله: "حركات التجديد هدمت وعجزت عن تقديم البديل، وحاسبت الموروث بمعطيات المناهج الحديثة، واكتفت بالتشكيك في العلوم العربية، وتبنّت المنهج التوفيقي لتساهم في مشروع نهاية التاريخ بالتوجه إلى نقض البناء من الداخل وتكوين جيل بلا هوية مشكك في مسلماته ليسهل تراجعه وتنازله عنها في مجال حوار الثقافات"[2].

[1] عبد الله الجهاد، النحو العربي واللسانيات: تقاطع أم تواز)، ص 391

[2] أحمد بن جار الله الزهراني، التجديد النحوي عند المحدثين: قراءة في المنطلقات والمنهج، ص 54.

وصدر لمؤيد آل صوينت كتابه (لسانيون ومجلسات التلقي)[1]، ليسهم بدوره في تيار المراجعة اللسانية والنقد اللساني للعديد من الأعمال التي مثّلت حركة البحث اللساني في الثقافة العربية الحديثة، وسعى الكاتب إلى تسجيل الطروحات وفحص الأفكار اللسانية التي بثها بعض اللسانيين في الثقافة العربية الحديثة، ممن لهم باع كبير في البحث اللساني، سواء من حيث نقدهم، أو تبنيهم، أو من حيث رفضهم، أو قبولهم للأطروحات اللسانية.

ونشر حسين السوداني بحثا موسوما بـ(النحو واللسانيات في وعي الباحث العربي)، منطلِقا من جدلية النحو العربي واللسانيات الحديثة، يقول: "يجد الباحث العربي نفسه اليوم بين مكنزين معرفيين؛ أحدهما التراث اللغوي العربي، وهو تراث يرتبط فيه اللغوي بالديني ارتباطا وثيقا، والثاني هو المنجز اللساني الحديث بكل تفرعاته وخلفياته. وازاء هذه الثنائية يتخذ الباحث موضعا قلقا بين تراث لغوي أثرى ما استقر من التراث الإنساني، وبين العلم اللساني الذي يتمثله الباحث العربي قرينا للحداثة"[2]. وتوقف السوداني على اتجاهات اللغويين العرب وموقفهم من التراث اللغوي العربي، وكذا الأوهام التي تسيّر وعيهم بكل ما هو لساني حديث.

وبالرغم من أن هذه المقالة لا تتجاوز ثلاث صفحات في المجلة، إلا أن السوداني قدم فيها خلاصات الاتجاهات اللغوية الحديثة في محاورة النحو العربي باللسانيات الحديثة، وكذا أوهام اللغويين في النظر إلى هذه القراءة، وإلى أهم الشروط الابستمولوجية الضرورية لدراسة جدلية النحو العربي واللسانيات.

يقول السوداني: "من المهم أن يعلم الباحث العربي اليوم أن اللسانيات التي يُقبل عليها بدرجة عالية من الوثوقية يحتويها سياق ابستمولوجي دقيق، من أبرز مكوناته أن النظرية لا تكون علميه إلا إذا كانت قابله للدحض. أما تمثل الباحث العربي فإنه في كثير من الأحيان ينصاع لحماسه تجعله يعالج المسائل بوُثوقيةٍ تُعبّر عن واقع نفسي، ولا تصدر عن تبصّر علمي عميق، لكأن الحداثة رفض لكل قديم، أو كأنه لا علم إلا ما كان جديدا"[3].

المبحث الثاني: شروط محاورة النحو العربي للسانيات عند طه عبد الرحمن

نشر حوار مع الدكتور طه عبد الرحمن في العدد الثاني لعام 1988 من مجلة دراسات سيميائية أدبية لغوية، أجراه عدد من الباحثين هم محمد ألوزاد وحمو النقاري ومحمد الباهي

[1] دار كنوز المعرفة، الأردن، 2022.
[2] حسين السوداني، النحو واللسانيات في وعي الباحث العربي، ص 138.
[3] المرجع نفسه، ص 140

ومحمد العمري. نُشر الحوار في باب تكامل المعارف بعنوان اللسانيات والمنطق والفلسفة: حوار مع الدكتور طه عبد الرحمن.

تهتم إجابتنا في هذا المقام بأجوبة الدكتور طه عبد الرحمن على الأسئلة اللسانية لحمو النقاري، إذ أثارت العديد من القضايا الإبستمولوجية المهمة في علاقة اللسانيات الحديثة بالنحو العربي.

يرى طه عبد الرحمن أن نقاش اللسانيات والنحو العربي في الدراسات الحديثة واتخاذ مواقف معينة من أحدهما في ضوء الآخر جاء نتيجة ظهور اللسانيات الحديثة وتطور مناهجها من جهة، وتميز اللسانيات الحديثة بالجدّة والتنوع من جهة أخرى. ساهمت هذه الميزات في لفت انتباه الباحثين العرب والمغاربة بشكل خاص، "فكان من الطبيعي أن يحاول بعضهم عرض جوانب من النحو العربي على محك هذه المناهج المستحدثة، وأن يسعى إلى تقويم آلياتها الإجرائية بحسبها"[1]. وقد تطور هذا النقاش بشكل كبير في المغرب بسبب تميز الباحثين المغاربة في مجال الدراسات اللسانية وتنوع اهتماماتهم.

يشترط طه عبد الرحمن مجموعة من الشروط في كل مشروع يهدف إلى قياس النحو العربي باللسانيات الحديثة ومناقشة العلاقة بينهما حتى يرتقي إلى مستوى المشاريع العلمية المفيدة علميًا، وهذه الشروط هي[2]:

- أن يحيط الباحث اللغوي اطلاعًا كافيًا بالنماذج النظرية اللسانية تركيبًا وتصنيفًا.
- أن يحيط بالأصول النظرية المنطقية منها والرياضيات التي قامت عليها هذه المناهج، والتي تتطلب تكوينًا نظريًا في غاية المتانة والعمق.
- ألا يكتفي بالمحاكاة الآلية للنماذج اللسانية الموجودة، بل يجب أن يكون قادرًا على اصطناع نماذج منه عنده مستوفية للشروط النظرية ومناهضة للنماذج المنقولة عن الغرب.

[1] حوار مع طه عبد الرحمن، اللسانيات، المنطق، الفلسفة (تكامل المعارف)، حاوره حمو النقاري وآخرون، مجلة دراسات سيميائية أدبية لسانية، العدد 2، شتاء 87/ربيع 1988، ص 124.

[2] نفسه.

- أن يكون عالمًا بالنحو العربي متمرسًا بأدق آلياته الوصفية والتحليلية، ومتحققًا من أسبابه التاريخية وشرائطه النظرية.

هذه الشروط الأربعة في نظر طه عبد الرحمن هي الكفيلة بإسناد العلمية لمشروع الباحث، وهي الدليل على ثقته وافادته. يقول طه: "[وإذا] لم يستجب الباحث اللغوي لهذه المعايير الأربعة: الإحاطة بالمناهج اللسانية الحديثة والإحاطة بالمناهج النحوية العربية والتكوين النظري الكافي والقدرة على اصطناع النماذج منه عنده، فلا ثقة بقوله ولا بأحكامه، لا بصدد ما ينقله عن لسان الغرب، ولا بصدد ما يثبته عن لغوي العرب"[1].

في نظر طه، فإن اعتماد هذه المعايير في تقويم جهود الباحثين العرب آنذاك في محاورة النحو العربي باللسانيات الحديثة وبناء المواقف من النحو والتراث العربيين أدى إلى خلاصة مفادها أن أصحاب هذه المواقف لم يكتمل عندهم تحصيل هذه الشروط، إما كليا أو جزئيا، لا سيما أن غالبية هؤلاء من الباحثين الشباب الذين ما زالوا يتلمسون طريقهم.

لقد قدم طه عبد الرحمن موقفه من علاقة النحو العربي باللسانيات الحديثة وطبيعة التعامل التي يجب أن ينظر اليها الباحثون إلى هذه العلاقة، مدعومًا الاتجاه التوفيقي الذي لا يتعصب للنحو العربي وحده ولا يلغي أهمية الاطلاع على منجز اللسانيات الحديثة واستثماره في خدمة اللسان العربي.

وفي المقابل، رفض طه عبد الرحمن الاتجاه الذي قلل من قيمة النحو العربي ودعا إلى هدمه والاستغناء عنه لصالح اللسانيات الحديثة، وكانه يشير بشكل ضمني إلى مواقف الباحث اللساني عبد القادر الفاسي الفهري في بداية كتابه "اللسانيات واللغة العربية". يقول طه: "وعلى هذا فالادعاء بأن النحو العربي قد نفذت طاقته التجديدية، وأنه يجب الاستغناء عنه باللسانيات الحديثة قول لا مسوغ له، فضلا عن أن صاحب هذه الدعوى يغفل حقيقة أساسية: وهي أن المقدار النظري والمنهجي الذي كان للنحاة العرب القدامى يفوق بكثير مقدار اللغويين العرب المحدثين، على الرغم من طول المدة بيننا وبينهم، وعلى الرغم من استحداث آليات وتقنيات متعددة في الدرس اللغوي خلال هذه الأمد الطويل"[2].

[1] حوار مع طه عبد الرحمن، اللسانيات، المنطق، الفلسفة (تكامل المعارف)، حاوره حمو النقاري وآخرون، مجلة دراسات سيميائية أدبية لسانية، العدد 2، شتاء 87/ربيع 1988، ص 124.

[2] نفسه.

ثم يقلل طه عبد الرحمن من أهمية الادعاء المقابل الذي يرفض اللسانيات ويدعو إلى الاكتفاء بالنحو العربي وحده. يوافق على هذا الاتجاه إذا كان هدفه "ضرورة اجتناب تسليط أساليب اللسانيات الغربية على النحو العربي والتطبيق الأعمال المنهج المستحدثة عليه والخروج منها بأحكام عامة وجازمة على التراث النحوي اللغوي"[1]. ومع ذلك، يفقد هذا الادعاء أهميته إذا تحول من هذا الهدف إلى الدعوة إلى الوقوف عند "حدود ما وضعه النحويون القدامى مع استبعاد كل تكوين في اللسانيات الحديثة والتطلع إلى معرفة مناهجها.

يرى طه أن هذا الادعاء يترتب عنه آثار سلبيه تضر بالنحو العربي ولا تخدمه. هذه الآثار هي[2]:

- أن النحو العربي لا يُنصَر بإنكار اللسانيات الحديثة. قد لا يحصل من هذا الإنكار إلا ازدياد سوء التقدير للنحو العربي موقوف وجوده وقيمته على مثل هذا الإنكار.
- إن الإبعاد الكلي للمناهج اللغوية الحديثة قد يفوت على الباحث العربي فرصة اكتساب تكوين منهجي ونظري يؤهله لتجديد اعتبار للنحو العربي ببيان وجود كفاية هذا النحو الوصفية والتعليلية والتعلمية أكثر مما لو بقي يقلب وجوها من هذا النحو من غير هذا التكوين النظري.
- إن عدم إحاطة الباحث المناصر للتراث النحوي بإمكانات اللسانيات وحدودها يجعله غير قادر على رد التحامل على النحو العربي من لدن الخصم وعاجز عن تحصيل التصديق والثقة في كلامه لدى جمهور الباحثين والمهتمين، ولا سيما أن للخصم امتياز الجديد عليه؛ حيث إن الجديد: لسانيات أو غيرها، أقوى إغراء وأفتن للنفس من القديم وإن كان النحو العربي.

استنادًا إلى ما سبق، يشترط طه عبد الرحمن جملةً من الشروط الضرورية من أجل أن يشرع الباحث في خوض غمار البحث في العلاقة القائمة بين اللسانيات الحديثة واللغويات العربية القديمة، وبخاصة النحو العربي. هذه الشروط تقتضي اطلاع الباحث على اللسانيات الحديثة من حيث تاريخها ومرجعياتها وتطور نماذجها اطلاعًا دقيقًا، مع الدراية الكبيرة بالنحو العربي كذلك من حيث نشأته والمعرفة العميقة بسياقات تطوره ونضجه في سياق تطور المعرفة عامة في

[1] نفسه، ص ص 124-125.

[2] نفسه، ص 125.

الحضارة العربية الإسلامية. وهو ما يستدعي بالضرورة النظر إلى النحو العربي باعتباره جزءًا من منظومة متكاملة تتداخل فيها مختلف العلوم والمعارف من جهة، والنظر إلى تلك العلوم باعتبارها مصادر مهمة من مصادر النحو العربي من جهة أخرى. إذ يتجاوز النحو العربي كتب اللغويين والنحاة ليعانق فضاءات أرحب في مباحث الفقه والأصول والتفسير والقراءات، والفلسفة والمنطق، وغيرها.

لقد دافع طه عبد الرحمن على الاتجاه التوفيقي في قراءة التراث ومنه محاورة النحو العربي للسانيات الحديثة. إذ لا تلغي اللسانيات النحو العربي، ولا يغني الفكر النحوي العربي عن الاطلاع على اللسانيات الحديثة والاستفادة من نماذجها ونظرياتها في خدمة اللسان العربي والحضارة الإسلامية. لكن هذا التوفيق في نظر طه له معايير دقيقة وشروط صارمة لا تتوافى مع أي باحث لغوي.

المبحث الثالث: خصوصيات كل من النحو العربي واللسانيات عند عبد الرحمن بودرع

يعد الدكتور عبد الرحمن بودرع من اللسانيين المغاربة الكبار الذين استطاعوا الجمع بين الفكر اللغوي العربي واللسانيات الحديثة؛ وذلك من خلال الاستيعاب الدقيق للمنطلقات الفكرية والأسس المعرفية للفكرين معا، مما أهّله إلى وضع أسس معرفية متينة لقراءة اللغويات القديمة عربية وغربية، واللسانيات الحديثة، دون الوقوع في الإشكالات المنهجية والنظرية والتصورية التي لازمت عددا كبيرا من الدراسات اللسانية في الثقافة العربية.

يستعرض بودرع تاريخ علوم العربية، مناقشا أفكار اللغويين، وهو تاريخ تجلى بشكل واضح في مرحلتين: مرحلة الجمع والرواية عن العرب، ومرحلة استخراج القواعد والضوابط، وعلاقة ذلك بعلوم الحضارة الإسلامية؛ حيث اعتبرت علوم العربية من علوم الآلة التي يتوسل بها إلى علوم الشريعة.

وقد اعتمد بودرع منهجا ابستمولوجيا نقديا في قراءة العلوم اللغوية العربية وقراءة تاريخ نشأتها وسياقها وعلاقاتها بباقي العلوم والمعارف في الحضارة الإسلامية، ولا يكتفي بعرض الآراء المختلفة والمتعددة في مسألة النشأة والرواد والقضايا والمصادر المؤسسة، بل يناقشها ويدعم ما يراه صائبا منها.

بدأ بودرع في محاضراته[1] بعلم النحو، فعلم الصرف، فعلم الأصوات، فالمعاجم فالبلاغة، ثم فقه اللغة، ودرس بعض القضايا في كل علم، كما أشار إلى أبرز التعريفات التي قدمت في شأن هذه العلوم وتاريخ نشأتها وأبرز أعلامها وتآليفهم.

ميّز بودرع بين العلوم اللغوية العربية واللسانيات الحديثة، ورأى أن علوم العربية محصورة في دراسة اللغة العربية وحدها، واستخراج قواعدها وبيان أنساقها، مقرّا بأهمية تلك الدراسات وقيمتها العلمية ودقتها المنهجية، إذ تبيّن له أنها "بلغت من الدقة في المنهج والعمق في النظر والتفصيل في البحث ما جعلها قابلة لأن تقف في مصاف اللغويّات العالمية اليوم، وأن تقارَن بكثير من النظريات اللسانية الحديثة"[2]، وقال: "العلماء العرب القدماء قدموا مادة علمية ضخمة في ميدان علم اللغة، ولكن هذه المادة تحتاج إلى إعادة الصياغة وفق مبادئ اللسانيات الحديثة، وشروطها في التنظير والنمذجة، ويبدو أن كثيرا من الباحثين اللسانيين العرب يبذلون جهودا منهجية لقراءة التراث اللغوي وإعادة تركيبه وفق التصورات اللسانية[3].

يركز بودرع في قراءته للدراسات اللغوية العربية على مبدأ التكامل المعرفي والتداخل بين العلوم والمعارف، ويرى أن نشأة العلوم في الحضارة العربية الإسلامية، ومنها علوم اللغة، لم تكن منفصلة عن بعضها، وهو ما يستدعي بالضرورة التماس المنهج التكاملي في قراءتها ودراسة قضاياها، وأن أخذ المعارف المتعددة شرط في تكوين العارف وتأهيله (...) وهذه قاعدة أساس ينبغي أن ينطلق منها في الحديث عن منهج قراءة التراث اللغوي العربي[4].

ولمناقشة مسألة الاتصال والانفصال بين اللسانيات والنحو العربي في تصور عبد الرحمن بودرع، نشير إلى هذه العلاقة من جوانب عدة، منها: خلفيات ومنطلقات وموضوع ومنهج كل من النحو واللسانيات الحديثة.

أولا- النحو واللسانيات الحديثة: الخلفيات والمنطلقات: هناك اختلاف في المنطلقات والأسس والخلفيات التي أسهمت في ظهور النحو القديم واللسانيات الحديثة. فإذا "كانت للأنحاء القديمة منطلقات دينية وأهداف إصلاحية، فإن منطلقات اللسانيات الحديثة-بالنظر إلى

1 ينظر: محاضرات عبد الرحمن بودرع، مدخل إلى اللسانيات، ضمن دبلوم اللغة والتواصل والترجمة، أكاديمية نماء للعلوم الإسلامية والإنسانية.

2 عبد الرحمن بودرع، في اللسانيات واللغة العربية: قضايا ونماذج، ص 17.

3 نفسه، ص ص 27-28.

4 عبد الرحمن بودرع، في لسانيات النص وتحليل الخطاب: نحو قراءة لسانية في البناء النصي للقرآن الكريم، ص 389.

جذورها المعرفية التي كانت تستقي منها-منطلقات مخالفة لذلك، فإذا تعمقنا في النظر في أصولها وجدناها قد قطعت أشواطا لا تماثل الأشواط التي قطعتها الأنحاء القديمة، فقد كانت دراسة اللسانيات الحديثة في أساسها دراسة للغات الدول أو الأمم أو الشعوب التي سينظم ضدها الغزو أو الاحتلال أو الاستعمار بشتى أشكاله بحيث يتم التخطيط لذلك مسبقا بإرسال البعثات التبشيرية والاستشراقية"[1]، ثم إن الدافع الذي أدى بالنحوي العربي إلى إنتاج رسالته هو دافع ديني أساسا، يتمثل في الحفاظ على لغة القرآن من أن يتسرب إلى القرآن والحديث والدين شيء من اللحن أو التصحيف، إضافة إلى الهدف التعليمي والتربوي، عكس الدافع الذي أدى إلى إنتاج اللسانيات حيث كان ماديا استعماريا في البداية وتطور ليصبح في النهاية ماديا مرة أخرى بالنظر إلى المصالح التي يخدمها اليوم[2].

ثم إن النحو العربي نشأ في أحضان العلوم الإسلامية، ضمن منظومة متكاملة. فتداخل مع العلوم الإسلامية، مستفيدا منها وخادما لها، بينما نشأت اللسانيات الحديثة في الثقافة الغربية مستفيدة من الفكر اللغوي اللاتيني واليوناني، ولا شك أن هذا الاختلاف له دور في صياغة كل منها، اعتبارا للحمولة الحضارية والمعرفية والفكرية التي تجرها المفاهيم والمصطلحات.

ثانيا- النحو واللسانيات الحديثة: الموضوع والمنهج: أما من ناحية الموضوع فقد تميز علم اللسانيات عن الدراسات اللغوية القديمة والنحو القديم من جانبين، هما[3]:

- انتقاله من دراسة اللغة وظواهرها والتقعيد لها، إلى دراسة الآليات التي تولّد البنيات اللغوية والقواعد التي تنتجها.

- انتقاله من الاهتمام بلغة خاصة من اللغات البشرية المعروفة إلى الاهتمام بنظرية اللغة الإنسانية عامة بغض النظر عن الأنماط والأنواع.

ينضاف إلى ذلك أن اللسانيات تهتم بـ[4]:

- دراسة جميع اللغات سواء كانت مكتوبة أو منطوقة فقط.

---

[1] نور الدين رايص، الأنحاء القديمة واللسانيات الحديثة، ص ص 41-42.

[2] المرجع نفسه، ص 44.

3 بودرع عبد الرحمن، في اللسانيات واللغة العربية: قضايا ونماذج، ص 16.

4 شنوقة السعيد، مدخل إلى المدارس اللسانية، المكتبة الأزهرية للتراث-القاهرة 2008، ص 9.

- دراسة اللغات المتداولة الحية واللغات الميتة التي لم تعد مستعملة أو التي هي في طريق الاندثار.

- عدم تمييزها بين لغة وأخرى أو لهجة وأخرى، "إذ لا فضل للغة على لغة إلا بما يسندها ويدعمها من خارجها، وتفاضل اللغات أمر راجع إلى أسباب خارجية عن اللغة، كتقدم المجتمع، وإسناد اللغة إلى خلفية حضارية وثقافية واسعة، يتسع لها معجم اللغة وبنياتها"[1].

إن اللسانيات - حسب (مايبه) Meillet - تحمل "تجديدا كاملا للمناهج والأفكار: فهي تضيف إلى الوقائع التاريخية الخاصة منظومة شاملة، أي نسقا"[2]؛ بمعنى آخر أنها "استفادت من السياق المعرفي المستفيض ومن المعارف الإنسانية والعلوم الدقيقة من قبيل علم الحاسوب والإعلاميات، وهو ما لم يكن متاحا للدرس اللغوي العربي القديم"[3]؛ مما ساعد علم اللسانيات في الانطلاق من دراسة اللغة دراسة منهجية علمية شاملة، متجاوزة الدراسات اللغوية القديمة التي ركزت إما على جوانب جزئية في اللغة، وإما بدراستها في علاقتها مع باقي العلوم والتخصصات الأخرى. وفي معظم الأحيان لأغراض دينية وفلسفية بعيدة عن العلمية.

لقد ميز (غلفان) بدوره بين اللسانيات والدراسات اللغوية القديمة في ثلاث نقط، هي:[4]

- الفكر اللساني المعاصر فكر أكثر شمولية من نظيره القديم.
- الفكر اللساني المعاصر مراجعة دائمة ومستمرة للمفاهيم والأدوات القديمة.
- الفكر اللساني المعاصر أكثر تفتحا على معارف أخرى وعلوم دقيقة، مما مكنه من فرض نفسه في إطار العلوم الإنسانية، نظرية ومنهجا لا يستهان بهما.

وفي المقابل فإن اللسانيات "تشترك مع الأنحاء قديمِها وحديثِها في وصف اللغات، وتختلف بعد ذلك في كيفيات هذا الوصف وحدوده ومجاله والهدف منه، والأنحاء-في هذا المستوى-هي إجابات ممكنة عن سؤال جوهري يتعلق بتحديد القواعد والمبادئ التي تتكلم المجموعات طبقا لها، وتستعملها في فهم كلامها... وإذا اختلف اللسانيون المحدثون عن النحاة القدماء في تفسير أو

1 بودرع عبد الرحمن، في اللسانيات واللغة العربية: قضايا ونماذج، ص ص 26-27.

2 Meillet. A. linguistique historique et linguistique général, Genève : Slakine Paris, 1982. P : 15

نقلا عن مآري أن بافو وجورج إليا سرباتي، النظريات اللسانية الكبرى، ص 96.

3 بودرع عبد الرحمن، في اللسانيات واللغة العربية: قضايا ونماذج، ص 17.

4 غلفان مصطفى، في اللسانيات العامة، ص 184.

تعليل مثل هذه الظواهر، فإنهم-في هذا المستوى-يتقاسمون نفس الاهتمام، ويشتركون في بلوغ نفس الهدف"[1].

وتتفق اللسانيات الحديثة مع النحو العربي، في نظر الحاج صالح[2]، في أن العِلمين معا لهما موضوع واحد، هو اللغة في ذاتها، وينطلقان معا من اللغة بوصفها ظاهرة، ويذهبان معا إلى دور اللغة التخاطبي وقضاياها وظواهرها. في حين يرى أن النحو يختلف عن البنيوية في قضايا، منها المعيارية والوصفية؛ حيث تعتمد اللسانيات البنيوية منهجا وصفيا، في حين تعتمد الدراسات النحوية القديمة على المنهج المعياري.

ومهما يكن الاختلاف والاتفاق بين اللسانيات الحديثة والتراث النحوي العربي، فإن اللسانيات باعتبارها علما يختص بدراسة الألسن الطبيعية نظريا وتطبيقيا، والعربية كبقية الألسن البشرية الأخرى، من حقها أن تستفيد من جهود البحث اللغوي الحديث، بل هي مدعوة لذلك بكل إلحاح، رغبة في تطويرها وتنميتها وتيسير الصعب المعقد من قواعدها والتغلب على مشاكل معجمها[3].

خاتمة:

تعتبر قضية الأصالة والمعاصرة من أبرز القضايا التي شغلت العلماء والباحثين في الثقافة العربية الحديثة باختلاف منطلقاتهم الفكرية والمعرفية، وتعدد الحقول والمرجعيات التي ينطلق كل واحد منها، فجدلية الأصالة والمعاصرة أو القديم والحديث ليست قضية لغوية ولسانية أساسا، وإنما عبرت إلى الحقل اللساني من حقول أخرى منها الفكر الإسلامي والأدب والشعر.

والحديث عن جدلية القديم والحديث هو انعكاس لنوعين مختلفين من الباحثين، نوع محافظ يرى فيما تركه الأقدمون المثل الذي يقتدى به ويقاس عليه، ونوع منفتح يرى أن الأمم الأخرى تقدمت انطلاقا مما تملكه من فكر حديث ومناهج جديدة، وربما يذهب أبعد من ذلك فيقول إن سبب تقدمها جاء مما أحدثته من قطيعة معرفية وابستمولوجية مع ماضيها ومنتجات أجدادها وأسلافها. وبين السلفية التي لا ترى الخير إلا في التراث والقديم والحداثية التي تنظر إلى

[1] عز الدين البوشيخي، أعمال ندوة: المنحى الوظيفي في اللسانيات العربية وآفاقه، ص ص 19-20.

[2] الحاج صالح، بحوث ودراسات في اللسانيات، ص ص 23-43.

[3] عبد العلي الودغيري، من حق العربية أن تستفيد من جهود البحث اللساني الحديث، ص 173.

التراث باعتباره عاملا للتخلف والجمود، ينشأ خطاب القديم والحديث في الحقول المعرفية المختلفة، فيبدأ الصراع بين التصورين، ويسعى كلا الفريقين إلى إثبات صواب موقفه وتوجهه.

وبما أن البلاد العربية استفاقت من الناحية اللغوية في القرن الماضي بعد قرون من الجمود بالانفتاح على الدرس اللساني الحديث بالدول الأوروبية والأمريكية، فقد ظهر هذا الصراع بين الحديث والقديم في اللسانيات العربية الحديثة متجليا في ثنائية النحو واللسانيات. فإذا كان للنحو العربي أنصاره ورواده الذين أكدوا على ضرورة العودة إلى كتب النحو القديمة في تناول مختلف الظواهر اللسانية، فللسانيات أنصارها ممن يرون في العودة إلى التراث النحوي والتقيد به في الممارسة اللسانية دون الاستعانة بالمناهج والنظريات الحديثة عملا لا طائل منه، وبين هذا وذاك كفر البعض منهم باللسانيات كما كفر بدين الغرب لا لشيء إلا أنها ظهرت في بلادهم، ونادى البعض بالجمع بين التراث والحديث ومحاولة التوفيق بينهما في الدرس اللساني.

ترجع إشكالات العلاقة بين اللسانيات والنحو العربي في الخطاب اللساني العربي الحديث إلى العديد من المزالق المنهجية والتصورية التي وقع فيها اللسانيون العرب، وقد أدرك العديد منهم دور التوفيق بين القديم والحديث في تجاوز الإشكالات اللغوية الراهنة والبناء للمستقبل المنشود؛ مستقبل ازدهار اللسان العربي ومعه الثقافة العربية. ويحتاج الباحثون في الثقافة العربية الحديثة إلى التوقف عند جهود اللسانيين في تشخيص الأزمة، والتمعن في مقترحاتهم وتوصياتهم لتجاوز إشكالات التراث والحداثة في خطابنا اللساني المعاصر؛ أمثال: طه عبد الرحمن، وعبده الراجحي، وعبد الله الجهاد، وعبد القادر الفاسي الفهري، وأحمد المتوكل، ومحمد الأوراغي، وأحمد العلوي، ومصطفى غلفان، وعبد السلام المسدي، وحسين السوداني، وغيرهم كثير.

لائحة المصادر والمراجع

المراجع العربية:

- الأوراغي مجمد، لسان حضارة القرآن، دار الأمان، الرباط، ط1-2010.
- الأوراغي محمد، حاوره حافيظ إسماعيلي علوي-وليد أحمد العناتي، أسئلة اللغة أسئلة اللسانيات: حصيلة نصف قرن من اللسانيات في الثقافية العربية، إعداد وتقديم، دار الأمان الرباط، ط1-2009.
- الأوراغي محمد، ملف وضعية اللغة العربية في اللسانيات المغربية، ص 7، موقع نظرية اللسانيات النسبية على الرابط الآتي: https://lissanyatnisbyah.ma/لسانيات-تطبيقية.html
- بودرع عبد الرحمن، في اللسانيات واللغة العربية: قضايا ونماذج، دار كنوز المعرفة للنشر والتوزيع، عمان، ط1، 2016م،
- بودرع عبد الرحمن، في لسانيات النص وتحليل الخطاب: نحو قراءة لسانية في البناء النصي للقرآن الكريم، بحث مقدم للمؤتمر الدولي لتطوير الدراسات القرآنية، 2013/02/16م، المملكة العربية السعودية، وزارة التعليم العالي، جامعة الملك سعود، كرسي القرآن الكريم وعلومه.
- بودرع عبد الرحمن، محاضرات مدخل إلى اللسانيات، ضمن دبلوم اللغة والتواصل والترجمة، اكاديمية نماء للعلوم الإسلامية والإنسانية.
- البوشيخي، عز الدين أعمال ندوة: المنحى الوظيفي في اللسانيات العربية وآفاقه، جامعة مولاي إسماعيل، كلية الآداب والعلوم الإنسانية-مكناس، سلسلة الندوات 2009/20، يومي الجمعة 23 والسبت 24 نونبر 2007، شركة الطباعة مكناس برانث شوب،
- الجهاد عبد الله، النحو العربي واللسانيات: تقاطع أم تواز)، مركز تكوين للدراسات والأبحاث، السعودية، 2016.

- الحاج صالح عبد الرحمن، بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، موفم للنشر- الجزائر، 2012 .
- الراجحي عبده، النحو العربي والدرس الحديث (بحث في المنهج)، دار النهضة العربية، بيروت، 1979م.
- الراجحي عبده، النحو العربي واللسانيات المعاصرة، ضمن كتاب البحث اللساني والسيميائي، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط، سلسلة ندوات ومناظرات رقم 6 (6-7-8/ 1981).
- الزهراني أحمد بن جار الله، التجديد النحوي عند المحدثين: قراءة في المنطلقات والمنهج، ضمن كتاب صناعة البحث اللغوي، تحرير مقبل بن علي الدعدي، مركز تكوين للدراسات والأبحاث-السعودية
- السوداني حسين، النحو واللسانيات في وعي الباحث العربي، مجلة الدوحة، قطر، السنة الحادية عشرة-العدد 126، أبريل 2018.
- شنوقة السعيد، مدخل إلى المدارس اللسانية، المكتبة الأزهرية للتراث-القاهرة 2008.
- طه عبد الرحمن، اللسانيات، المنطق، الفلسفة (تكامل المعارف)، حاوره حمو النقاري وآخرون، مجلة دراسات سيميائية أدبية لسانية، العدد 2، شتاء 87/ربيع 1988.
- عبد القادر المهيري، نظرات في قراءة التراث اللغوي، دار الغرب الإسلامي، ط1، 1993م، بيروت لبنان.
- العلوي أحمد وآخرون، المنهجية في الأدب والعلوم الإنسانية، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، ط1-1986.
- العلوي أحمد، حاوره حافيظ إسماعيلي علوي ووليد أحمد العناتي، أسئلة اللغة أسئلة اللسانيات: حصيلة نصف قرن من اللسانيات في الثقافية العربية، إعداد وتقديم، دار الأمان الرباط، ط1-2009.

- غلفان مصطفى، اللسانيات العربية: أسئلة المنهج، دار ورد الأردنية للنشر والتوزيع، ط1-2013، الأردن.
- غلفان مصطفى، في اللسانيات العامة: تاريخها، طبيعتها، موضوعها، مفاهيمها، دار الكتب الجديدة المتحدة، الطبعة الأولى 2010م.
- الفاسي الفهري عبد القادر، اللسانيات واللغة العربية، دار توبقال للنشر، ط2، 1988، الدار البيضاء، المغرب.
- مآري أن بافو وجورج إليا سرباتي، النظريات اللسانية الكبرى، ترجمة: محمد الراضي، المنظمة العربية للترجمة-بيروت، الطبعة الأولى 2012.
- المتوكل أحمد، مسائل النحو العربي في قضايا نحو الخطاب الوظيفي، دار الكتاب الجديد المتحدة، ط1، 2009.
- وافي علي عبد الواحد، علم اللغة، دار نهضة مصر للطبع والنشر، القاهرة، 1945م.
- الودغيري عبد العلي، من حق العربية أن تستفيد من جهود البحث اللساني الحديث، حاوره عبد القادر الإدريسي، مجلة الموقف، العدد 4، دجنبر 1987م.